ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله
ورسوله فيقال له انظر مقعدك من النار قد ابدلك الله به
مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا واما
الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه
فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين
اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين وفي رواية لابي
داود وغيره فيقولان له من ربك وما دينك وما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول المؤمن ربي الله وديني الاسلام والرجل المبعوث
رسول الله ويقول الكافر في الثلاث لا ادري وفي رواية للترمذي
يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير وفي رواية للبيهقي فياتيه
منكر ونكير ويغمان اي المنكر والنكير من له ذنب كبير دون
الصغير اذا لم يصر عليه لانه مكفر باجتناب الكبائر كما مر وسياتي فان
قيل كيف ساغ التعبير بمن له ذنب كبير والاحاديث انما هي في الكافر او
المنافق قلنا هو ماخوذ من خبر صاحبي القبرين لان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يشفع في الكافر والمنافق فلزم كونهما مسلمين وان النميمة
وعدم الاستبراء من البول كبير لانه يؤدي الى الدخول في الصلوة بنجاسة
فيؤيد ما صححه القاضي الحسين والبغوي من اصحابنا الفقهاء انه
يجب الاستبراء واما الكافر والمنافق فبطريق الاولى لكون ذنبهما اعظم
ويكون الغم المذكور بغم يهول اي يفزع لشدة هوله يدعا اي
يسمى ذلك الغم مرزبة بكسر الميم وسكون المهملة وفتح المعجمة
والموحدة اي مطرقة من حديد كما في الرواية المارة فيقع بتلك
المرزبة حتى يصير تربة متربة اي مفتتة ففي رواية لاحمد وابي
داود انه يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له اي

يسلط

يسلط عليه اعمى اصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا
فيضربه بها ضربة فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا
الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح والحكمة في كونه اعمى اصم انه
لا يرى عجزه فيرحمه ولا يسمع زفيره فيرق له فالظاهر انه تمثيل لتغلظ
عليهم كما قال الله تعالى في ملئكة النار الموكلين بعذاب اهلها عليها
ملئكة غلاظ شداد لا يعصون ولانه القول الذي لا فايدة فيه
لا يراد استماعه كقول الشاعر اصم عن القول الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريده ولا يصير تربة الا من بعد ما صاح
بصوت هايل موحش الميت يسمع هذا الصوت الهايل غير جن
وبشر وهما الثقلان المذكوران في الحديثين وفي قوله من حضر
اشارة الى رواية الصحيحين حيث قال لا يسمعها من يليه وان كانت
اعم من الحاضر وغيره ويحمل قوله في الرواية الاخرى يسمعها ما بين
المشرق والمغرب على ما بينهما ممن يليه وفي الصحيحين ايضا عن ابن عمر
مرفوعا ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان
من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة فان قيل ما الحكمة في عدم
سماع الثقلين فالجواب ما ذكره في رواية مسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لولا ان لا تدافنوا لاسمعتكم من عذاب القبر فان معناه لو
اسمعتكم ذلك لاشرع عليكم الرعب وحملكم على التحرز عن الاموات
والتباعد عنهم والاعراض عن الاشتغال بدفنهم مخافة ان تصيبوا
الاحذار من عذاب القبر فانه اذن ما يرد من قدر الله تعالى ولا
من عذابه كما قيل في معناه ويحتمل ان المراد ان اسماعهم يفضي الى
فزعهم واشفاقهم من عذاب الله تعالى فيحملهم ذلك على ترك الدنيا